

## كلمة من رئيس الجامعة

في المنتدى العربي الخامس للتربية والتعليم

المملكة المغربية / ٢٩-٣٠ أذار ٢٠٠٨

### التعاون الدولي في مجال التعليم

#### جامعة بيروت العربية وجامعة الإسكندرية نموذجاً

في السابع من نوفمبر " تشرين الثاني " سنة ألفٍ وتسعمائةٍ وستينُ وُلدتُ جامعةُ بيروت العربية، وفي حفلٍ افتتاحيها في ذلكَ اليومِ، قالَ أولُ رئيسٍ لها الدكتور علي راشد أن من مقوماتِ الدستورِ الجامعي أن تقومَ العلاقةُ بين الجامعةِ وغيرها من الجامعاتِ في الداخلِ أو الخارجِ على التفاهمِ والتعاونِ الوثيقِ في سبيلِ تحقيقِ الرسالةِ الجامعية . وهذا التعاونُ بين الجامعاتِ هو العاملُ الأولُ على نشرِ المودةِ، والإخاءِ بينَ أبناءِ البشرِ مهما اختلفتْ حضاراتهم ومذاهبهم في عالمنا الحالي .

كانَ ذلكَ - أيها السادة - من ثمانِ وأربعينَ سنة، وهو تعبيرٌ يكشفُ عن استشعارِ سابقٍ لأبعادِ المستقبلِ أثارتُهُ - فيما أحسبُ- هذه التجربةُ الفريدةُ في عالمنا العربي حينَ تنشأُ جامعةٌ وليدةٌ في أحضانِ جامعةٍ قديمةٍ . وقد تحوّلَ هذا الاستشعارُ إلى واقعٍ مُتحقّقٍ لجوهرِ التعاونِ ولمفهومِ التوأمةِ بين الجامعاتِ .

أيها السادة ....

نشأتُ جامعةُ بيروت العربية استجابةً لضروراتٍ مُلحّةٍ وقتذاك، فقد كانت هناكَ قطاعاتٌ واسعةٌ من المجتمعِ اللبنانيِ والفلسطينيِ والعربيِ محرومةٌ من التعليمِ الجامعي . وكانت الغالبيةُ العظمى من هذا البلدِ العزيزِ يتوقفُ تعليمها عندَ المرحلةِ الثانويةِ، وقد كان من المتوقعِ أن تبدأَ الجامعةُ ضعيفةً متعثرةً لنقصِ الإمكانياتِ والخبراتِ، غيرَ أنَّ الاستجابةَ

القوية من الجهات المسئولة في مصر جعلت بداية الجامعة تستند على أسسٍ راسخة، إذ كُلفت جامعة الإسكندرية بالإشراف على الجامعة الوليدة فأمدتها بخبراتها المتراكمة من حيث المقررات التعليمية، والأجهزة، وطرق الاختبار، وأوفدت إليها عدداً من أكبر أساتذة الجامعات المصرية حتى تتمكن هذه الجامعة من الوقوف إلى جانب الجامعات العريقة الثلاث التي كانت موجودة آنذاك.

اقتصرت الجامعة في العقدين الأولين على كليات الآداب والحقوق والتجارة والهندسة المعمارية، واستقبلت أعداداً كبيرة من اللبنانيين والفلسطينيين والعرب، ومن سوريا والأردن والعراق، وبلدان الخليج، وقدم الأساتذة بحوثاً وكتباً في مجالات الآداب واللغة والقانون والاقتصاد والعلوم الاجتماعية صارت مراجع مشهورة في الجامعات العربية.

وبسبب ما أثمره هذا التعاون الخلاق في المراحل الأولى برزت الحاجة إلى تخصصات جديدة يتطلبها المجتمع، فتوسعت الجامعة في المجالات المتنوعة للدراسات الهندسية، ثم العلوم، ثم الطب البشري والصيدلة وطب الأسنان والتمريض.

وصار للجامعة حرم جامعي جديد كبير خارج بيروت في منطقة خضراء مرتفعة تنعم بالخضرة الشاملة، والهدوء، والبعد عن ضوضاء المدينة مما يوفر جواً ملائماً للتعليم والبحث. وخططت الجامعة لافتتاح فروع لها في طرابلس وفي البقاع لخدمة العلوم البيئية.

لقد أسفر التعاون بين جامعة الإسكندرية وجامعة بيروت العربية حتى الآن عن ما يلي:

١ - إمداد الجامعة بمقرراتٍ وتخصصاتٍ مستقرةٍ لسابق تجربتها وتطويرها في الإسكندرية.

٢ - التأكد من مستويات "القياس" في الأداء الجامعي بحيث صار "المتخرج" في مستوى الجامعات العربية القديمة ويقترّب من مستوى بعض الجامعات الأوروبية.

٣ - لم يحدث على مدى العقود الخمسة أن ذابت جامعة بيروت العربية في جامعة الإسكندرية، بل أخذت شخصيتها تنمو سنةً بعد سنة حتى صار لها الآن

كِيَانَهَا الْمُتَمَيِّزُ الَّذِي يُبْرَزُ خِصَائِصَ الْهُوِيَّةِ، وَلَا يَبْتَعُدُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ عَنِ  
التَّعَاوُنِ الْمُتَنَامِي .

أَيُّهَا السَّادَةُ ....

لَا شَكَّ أَنَّ الْأَلْفِيَّةَ الثَّلَاثَةَ قَدْ أَنْشَأَتْ فِي عَالَمِ الْيَوْمِ حَالَةً جَدِيدَةً، وَتَغَيَّرَتْ إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ  
ووظائفُ المُؤسَّساتِ الجامعيَّةِ حيثُ يَغْلِبُ عَلَى الْعَصْرِ طابَعُ الْعُلُومِ التَّطْبِيقِيَّةِ، وَهِيَ عِلْمٌ  
لَا يُمْكِنُ التَّقَدُّمَ فِيهَا إِلَّا عَلَى أُسَاسِ التَّعَدُّدِ وَالتَّعَاوُنِ وَالتَّكَامُلِ ، وَالقُوَّةَ الْكَبِيرَى فِي عَالَمِ  
اليومِ قُوَّةُ امْتِلَاكِ الْمَعْرِفَةِ، وَالتَّنَافُسُ شَرْسٌ لَا مَسَاوِمَةَ فِيهِ، مِنْ هُنَا شَهِدَتْ السَّنَوَاتُ  
الْأَخِيرَةُ دَعْوَةً عَالَمِيَّةً شَامِلَةً إِلَى عَقْدِ أَمْطَاطٍ مِنَ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْجَامِعَاتِ يَأْخُذُ أَشْكَالَ  
التَّوَامَةِ أَوْ تَوْحِيدِ الْمَقَرَّرَاتِ وَالْمَرَاجِعِ وَالشَّهَادَاتِ، أَوْ إِجْرَاءِ الْبَحْوثِ الْمَشْتَرَكَةِ، أَوْ  
التَّبَادُلِ الْحَقِيقِيِّ فِي خَبِرَاتِ الْأَسَاتِذَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَصْبَحَ شَائِعًا الْآنَ، وَذَلِكَ بِمُحَدِّفِ  
تَحْقِيقِ الْجُودَةِ وَالاعْتِمَادِ وَالاعْتِرَافِ .

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ تَبْرَزُ هَذِهِ التَّجْرِبَةُ الْفَرِيدَةُ بَيْنَ جَامِعَةِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَجَامِعَةِ بَيْرُوتِ  
العَرَبِيَّةِ فِي وَضْعِ تَصَوُّرٍ لِلتَّعَاوُنِ الْجَامِعِيِّ الْآنَ وَفِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَهُنَا نَتَذَكَّرُ هَذَا الْاسْتِشْعَارَ  
الصَّادِقَ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ أَوَّلُ رَئِيسِ لِجَامِعَةِ بَيْرُوتِ الْعَرَبِيَّةِ حَيْثُ أَنَّ الْخَبْرَةَ تَرَكَمَتْ مِنْذُ  
أَوَّلِ يَوْمٍ فِي تَأْمِينِ نَوْعٍ مِنَ الرُّؤْيَا الْعَرَبِيَّةِ لِمُتَطَلِّبَاتِ التَّعَاوُنِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَذَلِكَ عَلَى  
النَّحْوِ التَّالِيِ:

١- إنَّ التَّعَاوُنَ لَمْ يَعْذُ مَقْبُولًا أَنْ يَقتَصِرَ عَلَى جَامِعَتَيْنِ، بَلْ يَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ  
ثَلَاثِ جَامِعَاتٍ أَوْ أَكْثَرَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ فِي مَجَالَاتٍ تَخْصُصُ بِذَاتِهَا تَحْتَارَهَا  
الْجَامِعَةُ وَتَرَى فِيهَا فَائِدَةً لِمُحِيطِهَا الْاجْتِمَاعِيِّ ، وَإِسْهَامِهَا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فِي  
إِنْتِاجِ الْمَعْرِفَةِ الْعَالَمِيَّةِ .

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ تُعَدُّ جَامِعَةُ بَيْرُوتِ الْعَرَبِيَّةِ رَائِدَةً فِي الْإِشْتِرَاكِ مَعَ جَامِعَةِ  
الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَمَعَ عَدَدٍ مِنَ الْجَامِعَاتِ الْأُورُوبِيَّةِ فِي إِطَارِ الْمَشْرُوعَاتِ الْبَحْثِيَّةِ  
الدَّوَلِيَّةِ FP7، وَكَذَلِكَ مَعَ مَنظَمَةِ الْجَامِعَاتِ الْفَرَنْكُوفُونِيَّةِ AUF .

٢- إنَّ جَامِعَةَ بَيْرُوتِ الْعَرَبِيَّةِ تَرَى الْإِسْرَاعَ فِي تَأْسِيسِ أَمْطَاطٍ مِنَ التَّعَاوُنِ الْمَشْتَرَكِ  
بَيْنَ الْجَامِعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ أَوَّلًا ثُمَّ الْإِنْتِظَاقَ إِلَى الْجَامِعَاتِ الْعَالَمِيَّةِ فِي الْغَرْبِ

والشرقِ على السواء ، وقد يكونُ من الضروري أن تُلفتَ إلى ضرورةِ عدمِ  
الاقْتِصَارِ على الجامعاتِ الأوروبيةِ والأميركيةِ، ذلك أن هناك تطوراتٍ هائلةً  
ملحوظة في جامعاتِ الشرقِ وبخاصة في اليابان والصين وكوريا الجنوبية ،  
وكذلك في بعضِ البلادِ الإسلامية مثل ماليزيا ، والبلادِ الإسلامية في وسطِ  
آسيا . كما ينبغي الاهتمامُ أيضاً بالبحثِ عن آفاقِ التعاونِ مع الجامعاتِ  
الافريقية .

٣- إننا نرى أن التعاونَ بين الجامعاتِ ليس هدفاً في حدِّ ذاته، وليس مدعاةً للتباهي  
والنفاخر، وإنما هو وسيلةٌ إيجابيةٌ من أجلِ المنفعةِ المشتركةِ والتقدم ، لذلك  
يجب أن يخضعَ للمتابعةِ والمراجعةِ المستمرة ، وللتقييمِ الموضوعي يشتركُ فيه  
كل المنغمسين في العمليةِ التعليميةِ والمستفيدين منها ، من الأساتذةِ والباحثين،  
وعلى الأخصَّ من الطلابِ على مستوى الدرجةِ الجامعيةِ الأولى وعلى  
مستوى الدراساتِ العليا، وكذلك من المؤسساتِ الإنتاجيةِ والخدميةِ في  
المجتمع .

٤- إن التعاونَ ينبغي أن ينهضَ على أساسِ قوي من التساوي والتَّديَّةِ بما يفرضُ  
العملَ الجادَ والتزامَ روحِ العصر، وفي الوقتِ نفسه يجبُ ألاَّ تتخلَّى الجامعةُ عن  
هويتها الخاصةِ ومجالاتها التي تتفردُ بها والقيمِ التي تُعرِّفُها في العالم .

وفي هذا المقامِ أودُّ أن أُؤكِّدَ أن ذلك كُلُّه ينبغي أن يقومَ على الاهتمامِ القويِّ  
بلغتنا الأولى، اللغةِ العربيةِ التي حملتْ العلومَ وأوجهَ الحضارةِ المختلفةِ قرونًا  
ممتدة، بحيثُ تصبحُ لغةً علميةً موضوعيةً تكونُ مرآةً لعقليةِ عربيةٍ عالميةٍ  
معاصرةٍ مع الاهتمامِ الفائقِ بإتقانِ اللغاتِ الأجنبيةِ دون أن تستولي علينا لغةٌ  
واحدةٌ تحدُّدُ لنا اتجاهًا نمطيًا واحدًا بدعوى معطياتِ العولمة؛ إذ ينبغي أن تظلَّ  
هذه الأمةُ - كما كانت - أمةً وسطاً واقعاً جغرافياً وتاريخياً حضارياً،  
وتوجَّهًا إلى المستقبل .